دور العلماء والمثقفين في المحافظة على الهُويّة الثقافيّة العربيّة في بغداد بعد سقوطها في يد المغول سنة 656هـ/1258م
دراسة تاريخيّة كميّة من خلال كتابيّ:
الحوادث الجامعة وتلخيص مجمع الآداب

THE ROLE OF SCHOLARS AND INTELLECTUALS IN PRESERVING THE ARAB CULTURAL IDENTITY IN BAGHDAD AFTER ITS FALL AT THE HANDS OF THE MONGOLS IN 656 AH/ 1258 CE.
A QUANTITATIVE HISTORICAL STUDY IN THE BOOKS: AL-HAWADETH AL-JAMMIAH AND TALKEES MUJAMMA' AL-ADAAB.

Dr. Ekhlas Mohammad AL-EIDI

Al-Balqa Applie University, JORDAN

الدكتورة إخلاص محمد العيدي

جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

d.ekhlas1979@bau.edu.jo

استلم:	**2018/08/29**	***Received:***	
قُبل للنشر:	**2019/06/25**	***Accepted:***	

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالدّور الذي أدّاه العلماءُ والمثقّفون للمحافظة على الهُويّة العربيّة الإسلاميّة في بغداد بعد سقوطها بيد المغول سنة 656هـ/ 1258م، وذلك من خلال البحث في

سِيَر العلماء والمثقفين الذين ترجم لهم ابن الفوطي في كتابيّه: الحوادث الجامعة، وتلخيص مجمع الآداب.

تضمّنت الدراسة مجموعة من المحاور من أهمها: التعريف بالمؤرخ ابن الفوطي وكتابيّه: تلخيص مجمع الأداب والحوادث الجامعة، إلقاء الأضواء التاريخية على استباحة المغول لبغداد وإسقاطهم للخلافة العباسية، و إبراز دور العلماء والمثقفين في المحافظة على الهُويّة الثقافيّة العربيّة؛ وذلك من خلال البحث في قيادتهم للبعثات الدبلوماسيّة والحركات الجهاديّة ضد المغول، وانجازاتهم التعليميّة التي أعادت لمدارس بغداد نشاطها التعليميّ، ودور تلك الإنجازات في ترسيخ مكونات ثقافتنا العربيّة.

خلصت الدراسة بتّأكيد على أنّ علماء بغداد ومثقفيها استطاعوا أنّ يحافظوا على استمرار تدريس العلوم الإسلاميّة والتاريخيّة، واعتماد اللغة العربيّة في الإدارة والحكم طيلة احتلال المغول للعراق، مما حمى هوية أمتنا العربية ديناً ولغةً وتاريخاً في وقت كانت تخضع إبّانه لحكم أجنبي وثني.

الكلمات المفتاحية: بغداد؛ المغول؛ الهويّة الثقافيّة العربية؛ القرن السابع الهجريّ.

Abstract :

This study aims to delineate the role played by scholars and intellectuals to preserve the Arab-Islamic identity in Baghdad after its fall at the hands of the Mongols in 656 AH / 1258 CE. The study was conducted based on researching into the biographies of scholars and intellectuals whom Ibn Al-Fouti translated into his two books: Al-Hawadeth Al-Jammiah, and Talkees Mujamma' Al-Adaab.

The study included a set of topics, the most important of which are: first, introducing the historian Ibn Al-Fouti and his two books: Talkees Mujamma' Al-Adaab and Al-Hawadeth Al-Jammiah. Second, shedding historical lights on the barbarian invasion of the Mongols to Baghdad and their overthrow of the Abbasid caliphate. Third, highlighting the role of scholars and intellectuals in preserving the Arab cultural identity; through researching and choosing their leadership of diplomatic missions and the jihadist movements against the Mongols. Finally, the study reflected on the educational achievements of the scholars and intellectuals through which they were able to restore the active educational role of the schools of Baghdad, and the role of those achievements in consolidating the components of our Arab culture.

June 30th, 2020
corresponding author: d.ekhlas1979@bau.edu.jo

The study concluded by confirming that the scholars and intellectuals of Baghdad were able to maintain teaching the Islamic and historical sciences, and the adoption of the Arabic language in administration and governance throughout the time of the Mongol occupation of Iraq. Thus, protecting the identity of our Arab nation, and its religion, language and history at a time during which it was subject to foreign and pagan rule.

Keywords : *Baghdad; the Mongols; the Arab cultural identity; the seventh century AH.*

June 30th, 2020
corresponding author: d.ekhlas1979@bau.edu.jo

مقدمة:

يُعدُّ الغزو المغولي من أخطر التحديّات الحضاريّة التي واجهتها أُمّتُنا العربيّة الإسلاميّة في القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلاديّ، ففي سنة 656ه/ 1258م استطاع هولاكو وجيشه المغوليّ من السيطرة على العراق، وإسقاط الخلافة العباسيّة، وقد رافق هذا الغزو استباحة القادة المغول لمدينة بغداد طيلة أربعين يومًا متواصلة، دمروا في أثنائها المدينة، وخربوا مساجدها و قصورها وقتلوا سكانها: رجالًا ونساءً وشيوخًا وأطفالًا، حتى إنَّ الجثث تراكمت كالتلال في الشوارع- على حدِّ وصف مؤرخي ذلك الزمن- كما دمَّرت همجيّة المغول مراكز بغداد الحضاريّة، من المدارس وخزائن الكتب والأربطة والزوايا، و قتلوا وأسر وشردوا العديد من علمائها وخطبائها ومثقفيها؛ ممّا أدّى إلى تعطُّلِ الحياة العلميّة فيها، بعد أنْ كانت مركزًا للعلم والأدب لأقطار العالم الإسلاميّ جميعها.[1]

ورغم تلك الفوضى التي عمّت جميع أنحاء بغداد، وأصابت شرائح المجتمع العراقيّ بأكمله، فإنّ الشريحة المتعلّمة احتفظت بقَدْر كبير من نشاطها وحيويّتها، وأخذت على عاتقها العمل بجدٍّ لإعادة إحياء بغداد؛ من خلال الارتقاء بالحركة العلميّة فيها، وسبيلهم في هذا المحافظة على هُويَّتِهم العربيّة الإسلاميّة، ودعمها لمواجهة خطر الغزو الأجنبيّ الذي سيطر على مدينتهم.

وتسعى الدراسة للحديث عن جهود تلك الشريحة من خلال تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرّف على إحتلال المغول للعراق، وأثار الدمار الذي خلفه استباحتهم لمدينة بغداد .
2. تسليط الضَّوء على قيادة العلماء والمثقفين للبعثات الدبلوماسيّة والحركات الجهاديّة إبّان الغزو المغولي لبغداد واستباحتهم لها، وأثره في حث الناس على الجهاد ومقاومة الغزو.

(1) جامع التواريخ، الهمذاني، (م2/ج1/ص281-293)

3. البحث في الإنجازات التعليميّة للعلماء والمثقفين، ودروها في إعادة تنشيط الحركة التعليميّة في مدارس بغدادَ إبان حكم المغول الايلخانيين، ودور تلك الإنجازات في ترسيخ مُكوّنات الهُويّة الثقافيّة العربيّة؛ لتتمكّن من تجاوز تحديات الاستعمار المغوليّ عليها.
4. الإحاطة بالسّياسة التي اتبعها حكام العراق التابعين للدولة المغولية الايلخانية تجاة علماء بغداد، وأثرها على الحركة العلمية والتعليمية فيها.

اعتمدت الدّراسة في القسم الأوّل منها على المنهج الوصفيّ المعتاد عليه بين الباحثين في الدراسات التاريخيّة ، مستعينة بأهم المصادر العربيّة المعاصرة للحكم الايلخاني على العراق، بالاضافة إلى بعض المراجع الحديثة التي وجدت الدراسة فيها سلامة المنهج، وجديّة العمل، في حين اعتمدت في القسم الثاني على المنهج الكمّيّ، الذي يقوم على تجزئة ما تتضمنّه المادّة التاريخيّة من معلومات مباشرة أو غير مباشرة إلى مداخل (رؤوس موضوعات)، يُشكّلُ كلُّ مدخل منها وَحدةً متماثلة في جداول إحصائيّة، ويتمُّ تحليل البيانات الكميّة المُتَجمّعة؛ للخروج بدلالاتٍ رقميّة، ونتائج تاريخيّة مُتّسقة زمانًا ومكانًا ومضمونًا؛ ولتسهيل الحصر الكمّيّ للبيانات آثرت الدراسة الإكتفاء بالاعتماد على مصدرين رئيسيين من مصادر حقبة الدراسة وهما: كتابي ابن الفوطي (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) وكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) ؛ وتأتي أهميّة هذين الكتابين لكونهما من أهم و أقدم المصادر التاريخيّة التي يُعوّل عليها في التأريخ للحقبة المغولية، ومظاهر الحضارة فيها، كما أن مؤلفهما واحد من علماء بغداد الذين تركوا بصمة واضحة في المحافظة على هويتها الثقافية طيله الحكم الايلخاني.

اشتملت الدراسة على مقدّمة وتعريف عام بابن الفوطي وكتابيه، مع قسمين: تناول القسم الأول منهما التعريف بقبائل المغول القاطنة في هضبة منغوليا، وأثر غزو زعمائها لمدينة بغداد العراقيّة. في حين خصص القسم الثاني لعرض قاعدتي البيانات الإحصائيّة التي تمَّ إعدادهما من المسح

الإحصائيّ لتراجم الفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء ... وغيرهم من علماء بغداد ومثقّفيها الذين نجَوا من سيوف المغول، والذين ترجم لهم ابن الفوطيّ في كتابيه(تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) و(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة).

وكان من أهمِّ المضامين التي شملتها قاعدة بيانات الدراسة الأولى: أسماء العلماء الذين أُسروا واستشهدوا في واقعة بغداد؛ والغايّة من هذه الإحصائيّة هو تسليط الضَّوء على الدَّور العسكريّ والسّياسيّ لعلماء بغداد في مواجهة الغزو المغوليّ، وأثر هذا الدور في المحافظة على الهُويّة العربيّة الإسلاميّة. أمّا قاعدة البيانات الثانيّة فشملت أسماء العلماء والمثقفين الذين أحيوا النشاط التعليميّ في مدارس بغداد بعد الغزو المغوليّ، وكان لهم فضل كبير في الحفاظ على مكونات الهويّة الثقافيّة العربيّة آنذاك.

انتهت الدراسة بخاتمة تضمّنت النتائج التي تمّ التوصّل إليها، وبمجموعة توصيات استُنْبِطَتْ من سير علماء بغداد، وتودُّ التأكيد عليها؛ ليقتدي بها علماءُ هذا العصر ومثقفوه؛ للنّهوض بهُويّتنا الثّقافيّة من هول التحديّات التي تعيشها.

ابن الفوطيّ وكتابيّه: (تلخيص مجمع الآداب) و(الحوادث الجامعة)

هو كمال الدين أبو الفضائل عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الشّيبانيّ ابن الفوطي، ولد سنة642هـ/ 1244م في محلة الخاتونيّة شرقي بغداد، و نشأ في كنف والده تاج الدين أحمد، الذي حرص على تأديبه وتعليمه؛ فحفظ القرآن الكريم، والعديد من الأحاديت النبوية الشريفة، وتعلم اللغة العربية شعراً ونثراً وأدباً على يد كبار علماء عصره، نذكر منهم: الشيخ محيّ الدين يوسف ابن

الجزريّ، مدرسة الحنابلة في المدرسة المستنصريّة، وشهيد واقعة بغداد سنة(656ه/ 1258م) ، والشيخ ابن وضّاح الشهراباني(ت672ه/ 1274م) [1]

شهد ابن الفوطي سقوط بغداد سنة656ه/ 1258م، وكان ممن وقعوا في أسر المغول، وفي إشارات متناترة في طيات تراجم كتابه(تلخيص مجمع الآداب) يظهر أنّه أُسِر في مدينة ضمن إقليم أذربيجان تسمى أهر، وأنّه تمكّن سنة (659ه/ 1261م) من الفرار[2]. ويؤكدابن رجب[3] وابن العماد الحنبلي[4] على أن الوزير نصير الدين الطوسي[5] هو من ساعد ابن الفوطي في التخلص من الأسر، وهما بذلك يخالفان رواية ابن الفوطي السابقة الذكر؛ وتشير مجريات الأحداث إلى صحة ما ورد من مساعدة الوزير له، فقد التجأ ابن الفوطي مباشرةً بعد خروجه من الأسر إلى مدينة مراغة _ إحدى مدن إقليم أذربيجان_ ليعيش فيها تحت حماية الوزير نصير الدين الطوسي[6] .

عاش ابن الفوطي في مراغة، قرابة العشرين عاماً، قضاها يعمل في وظيفة الإشراف على خزانة كتب دار الرصد التي أسسها الوزير نصير الدين الطوسي بناء على طلب من هولاكو[7] قائد الجيش المغولي، ويبدو أنّ عمله بين الكتب والنُسّاخ و مخالطته لكبار العلماء الذين كانوا يترددون على خزانة

(1) فوات الوفيات، الكتبي،(ج2/ ص319)
(2) تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي،(ج4/ق3/ ص325)
(3) الذيل على الطبقات، ابن رجب، (ج4/ص374)
(4) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي،(ج6/ص60)
(5) هو محمد بن محمد الطوسي، من اتباع المذهب الشيعي الاسماعيلي، شغل منصب الوزارة للمغول في مراغة، من أهم اعماله إنشاء مرصد مراغة. توفي في بغداد سنة 672هـ. للمزيد انظر: "نصير الدين الطوسي"، ظاهر سليمان،(م36/ص127-241)
(6) ابن الفوطي مؤرخا، عيال سلمان،(ص35)
(7) هولاكو : هو حفيد جنكيزخان الخان الاعظم للمغول، قاد حملة المغول على البلاد الاسلامية.انظر: تاريخ مختصر الدول، ابن العبري،(ص276-281).

الرصد، عدا عن حضوره الدائم لدروس سيّده الطوسي، زاده علماً في الأدب والتاريخ، واتقاناً لمعظم أشكال الخط العربي؛ وهذا ما دفع الكثير من العلماء لطلبه لنسخ كتبهم ومؤلفاتهم[1].

عاد ابن الفوطي سنة 679ه/ 1281م إلى بغداد بناء على طلب حاكمها عطاملك الجويني[2] ؛ ليشغل مهمة الإشراف على خزانة كتب المدرسة المستنصرية حتى وفاته سنة723هـ/ 1324[3].

ترك ابن الفوطي العديد من المصنفات من أهمها كتابي: (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) و(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة)

أما كتاب (تلخيص مجمع الآداب)، فيذكر الذهبي أن ابن الفوطي ألف مصنفاً أسماه(مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب) وجعله في خمسين مجلداً؛ ولكثرة مجلداته، قام بتلخيصه في كتاب آخر سُمي بـ (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) في خمسة أجزاء[4]. ولكن مع الأسف، لم يصلنا منها إلا الجزأين الرابع والخامس. اشتمل الجزء الرابع على تراجم من حملوا القابا تبدا بحروف العين والغين والقاف، ويقع في أربعة أقسام حققها مصطفى جواد ونشرتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق سنة 1962م. أما الجزء الخامس فقد ترجم لأشخاص تبدأ القابهم بحروف

(1) فوات الوفيات، الكتبي،(ج2/ ص319)

(2) هو عطاملك الجويني ، مؤرخ فارسي، عينه المغول حاكما على العراق، فحكم بين عامي(623-681ه) ، وصفته المصادر بالعدل والحكمه للمزيد انظر: " عطاملك الجويني ودوره السياسي والثقافي"، العيدي،(ص3-9)

(3) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي،(ج6/ص60)

(4) تذكرة الحفاظ، الذهبي،(ج1492/4)

الكاف واللام والميم والنون، وطبعه محمد عبدالقدوس القاسميّ في مدينة لاهور الباكستانية في مجلدين بين سنتي(1939-1947م)[1].

وفيما يخص كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) ، فقد جاء في ترجمة ابن رجب لابن الفوطي أنه أرخ لحوادث السنين ابتدأ من سنة 600ه/ 1204م حتى فاته سنة723ه/ 1324م في كتاب أسماه(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة)[2]، وهذا الكتاب حققه الدكتور مصطفى جواد ونشره في سنة 1932م. وبعد عدّة سنوات أعلن المحقق نفسه عدم صحة نسب هذا الكتاب لابن الفوطي، و وافقه الرأي كلا من الدكتور بشّار عوّاد والدكتور عماد عبدالسلام، ومع تقديرنا لذلك الرأي، إلا أن الدراسة ستتعامل مع هذا الكتاب كأحد مؤلفات ابن الفوطي معتمده في ذلك على ما أورده ابن رجب.

الإحتلال المغولي للعراق

المغول قبائل شبه بدائيّة، سكنت في أواخر القرن السادس الهجريّ / الثاني عشر الميلاديّ في هضبة منغوليا بقسميها الصَّحراويّ والجبليّ، عاشت- قبل ظهور زعيمها تيموجين المُلقّب بجنكيزخان- حياة غير مستقرة، كُلّها نزاع وصراع جَرْيًا وراء الماء والكلأ، لا حكم بينهم إلا للسيف، وهم بذلك لا يدركون معنًى للحضارة، ولا يفقهون معنًى للمدنيّة ولا للاستقرار[3].

بدأ التاريخ السياسيّ لقبائل المغول بتأسيس جنكيزخان لدولتهم سنة 600هـ/ 1206م، التي أرسى دعائمها في منغوليا، بعد أن وحَّد قبائلها، ونظَّم شؤونها الداخليّة بقوانين الياسا، ومنها انطلق

(1) "ابن الفوطي"، جواد،(م9/ص150)
(2) الذيل على الطبقات، ابن رجب، (ج4/ص374-375)
(3) تاريخ جهانكشاي، الجويني، (ج1/ص70)

للسيطرة على الدول المجاورة لها، فبدأ بغزو الإمبراطوريّة الصينيّة، وبعدها اتّجه نحو الغرب؛ مُستَغِلًّا حالة الضعف والتخاذل التي كانت تسود الدولة الخوارزميّة، ومن ورائها الدولة العباسيّة. وقد تمكّن جنكيزخان وأبناؤه من بعده من اجتياح العالم الإسلامي وصولًا إلى بلاد الشام[1].

احتل المغول العراق سنة 656هـ/ 1258م، وكعادتهم في الغزو، فقد استباحوا بغداد قتّلاً ونهباً وحرقاً، وهذا واضح في عبارات التخريب التي أوردها المؤرّخون إبّان حديثهم عن معارك المغول في بغداد. فمِمّا ذكره ابن الطقطقيّ في وصف دخول الجيش المغوليّ إلى بغداد قوله:» وأمّا عن حال العسكر السلطانيّ، فإنّه يوم الخميس رابع من سنة 656هـ... طبق وجه الأرض وأحاط ببغداد من جميع جهاتها، ثمّ شرعوا في استعمال أسباب الحصار، وشرع عسكر الخليفة في المدافعة والمقاومة إلى يوم29 المحرم، فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج العجميّ... وتقحّم العسكر السلطانيّ هجومًا ودخولًا، فجرى من القتل الذريع، والنهب العظيم، والتمثيل البليغ ما يعظُمُ سماعُه جملة فما الظن بتفصيله....»[2].وذكر ابن كثير» و أصبحت بغداد بعد ما كانت أنس المدن كلها، خراب ليس فيها إلا قليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة»[3]

وبعد أنَ تمكّن هولاكو من فرض السيطرة على جميع مدن العراق، وقبل أن يعود مع جيشه إلى تبريز[4]، ترك حامية عسكريّة مغوليّة مكونة من ثلاثة الآف جندي، وشكّل جهازا لإدارة البلاد اعتمد فيه على موظفي الخلافة السابقين، ولا سيّما أولئك الذين ساندوهم أثناء الغزو، كالوزير ابن

(1)جامع التواريخ، الهمذاني، (م2/ج1/ص233-264)
(2) الفخري في الاداب السلطانية، ابن الطقطقى،(ص301)
(3) البداية والنهاية، ابن كثير،(ج13، ص203-203)
(4) من المدن الكبرى في اقليم أذربيجان. انظر: معجم البلدان، الحموي،(12/2)

العلقمي[1]؛ فمن المعلوم عن المغول أنّهم شعب همجيّ يفتقد للخبرة الإداريّة التي وصلت إليها البلاد التي استعمروها؛ لذلك استعانوا بأهل البلاد المُستعمرة لإدارة بلادهم، وإعادة الأمن والإستقرار إليها، ومعالجة جميع التحديات الإقتصاديّة والعمرانيّة التي نتجت عن الغزو والاستباحة، وكلفوا الحامية العسكريّة المغوليّة بالإشراف على تلك الأجهزه الإداريّة، ومنعها من أي محاولة للثورة أو التمرد على الحكم المغولي؛ مما يعني أن القبضة الفعليّة للبلاد كانت بيد الحاميّة العسكريّة وحدها[2].

أصبح العراق ولاية ضمن ولايات الدولة المغوليّة الايلخانيّة (656-738ه/ 1258-1338م)، وكغيرها من الولايات منح المغول حاكمها نوعاً من الاستقلال الإداري مقابل تقديمه المال اللازم لخزينة الدولة، ولكن هذه السياسة رغم أنها تعكس وجها للحريّة والاستقلال الذاتي، إلا أنها لم تمنح العراق الاستقرار والأمان، فقد كان الحكام يتآمرون على بعضهم عند السلطان المغولي أو أمرائه ووزرائه؛ فيؤدي تآمرهم إلى إعاده الفوضى في البلاد، وبشكل عام فقد كان الفساد والضعف من أهم سمات حكومة ولاية العراق طيلة الحكم المغولي[3]، باستثناء فترة حكم الصاحب عطاملك الجويني[4] الذي حكم في الفترة الممتدة بين عامي(657-681ه/ 1258-1282م)، حيث تؤكد المصادر ولا سيّما مصادر الحقبة المغوليّة الإيلخانيّة، على أن ولاية العراق تمكنت بفضل ذلك الحاكم أنّ تتعافى من حالة

(1) هو محمد بن محمد ابن العلقمي، ولي وزارة الخليفة المستعصم بالله لمدة ثلاثة عشرة سنة، ثم ولي وزارة المغول بعد سقوط بغداد، توفي سنة 657هـ. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي،(ج10/ص252-255).

(2)" عطاملك الجويني ودوره السياسي والثقافي"، العيدي،(ص20)

(3) العراق في عهد المغول الايلخانين، خصباك،(ص65-68)

(4) هو علاء الدين عطاملك الجويني بن محمد الجويني، استلم منصب صاحب الديوان في ولايه العراق اثناء حكم المغول الايلخانيين، وقد تمكن رغم الوشايات من ان يستمر بالحكم في الفترة(657-681هـ).للمزيد انظر: تلخيص مجمع الاداب، ابن الفوطي،(ج4،ق2،ص1034-1036)

الفوضى إلى قدر من الأمن الإداري والإقتصادي والديني والفكري[1]، وهذا ما سنلاحظه في حديثنا عن دور علماء العراق ومثقفيه في المحافظة على الهويّة الثقافيّة العربيّة الآتي ذكره.

جهود العلماء والمثقفين في المحافظة على الهُويّة الثقافيّة العربيّة في بغداد إبّان الغزو المغوليّ عليها سنة 656هـ/ 1258م.

ساهم علماء بغداد ومثقّفوها إبّان الغزو المغوليّ في المحافظة على الهُويّة العربيّة الإسلاميّة، واستمرار امتدادها، رُغْم ظروف الاستعمار المغوليّ القاسيّة التي تعرَّضت لها. وفي هذه الدراسة نلقي الأضواء على مُساهمات هذه النُّخبة العلميّة البارزة من خلال دراسة سِيَرِهم؛ كما أرَّخها ابن الفوطي في كتابيه: (الحوادث الجامعة)، (تلخيص مجْمع الآداب).

أولاً: قيادة العلماء والمثقفين للبعثات الدبلوماسية والحركات الجهادية إبّان الغزو المغولي

يستشف من المصادر التاريخيّة أن جهود العلماء في التصدي للغزو المغولي على بغداد بدأ منذ مرحلة ما قبل الغزو العسكري، فمما يذكره الهمذاني أنّ العلاقات بين المغول والخلافة العباسيّة في بغداد بدأت بمرحلة السفارات التي بدأ هولاكو بإرسالها؛ بناء على السياسة العسكرية العامة التي تبناها القاآن الأعظم جنكيزخان[2]، حيث حرص المغول على نشر أخبار استباحتهم للمدن وتدميرها وحرقها بأبشع الوسائل الحربية؛ وذلك لبث الرعب والخوف في نفوس الأمم التي سيغزونها، فتعلن استسلامها عند أول سفارة يرسلها المغول تحمل في طياتها التهديد والوعيد في حال عدم الاستسلام لهم.

(1) تاريخ دول الاسلام، الذهبي،(وقيات سنة681/83-88).

(2) جنكيزخان : القاآن الاعظم للمغول ، من قبيلة قيات المغولية، ثوفي سنة 624هـ، بعد أن تمكن من تأسيس امبراطورية عظمى.للمزيد انظر: تاريخ جهانكشاي، الجويني،(ج1/69-71)

وفعلاً، أرسل هولاكو في التاسع من ربيع الآخر سنة 655هـ/ 1257م رسولاً إلى الخليفة المستعصم بالله[1] يتهدده ويتوعده ويذكّره بما حل بالدولة السلجوقية(429-552ه/ 1037-1157م) والخوارزمية(616-654ه/ 12019-1256م) وغيرها، ويأمرة بالطاعة وهدم الحصون وردم الخنادق وتسليم البلاد لابنه ويأتي هو لمقابلته[2]. وردا على هذه السفارة أرسل الخليفة العالم الجليل شرف الدين بن الجوزي[3] ومعه وفد من كبار الشخصيات العراقية، إلى هولاكو يحملون رسالة تتضمن رفض أوامر المغول، وتُظهر استعداد الخلافة لملاقات جيشهم. وفي هذه السفارة يظهر جلياً دور العلماء ومشاركتهم في صد الغزو المغولي عن بغداد، فقد كان من الصعب على الخليفة اختيار أي شخص لتلك المهمة الصعبة التي تتطلب رسولاً يتصف بالحكمة وقوة الحُجَة والشجاعة والثقة؛ ليكون قادراً على اقناع هولاكو في التخلي عن غزو العراق، وقد وجد الخليفة المستعصم بالله في فضيلة الشيخ العالم شرف الدين بن الجوزي الشخصية المناسبة لتلك السفارة، ورُغم المخاطر والصعوبات التي تتخللها هذه المهمة، انطلق الشيخ ابن الجوزي لملاقاه هولاكو، وتشهد المصادر بأن الشيخ بذل جهده لاقناع هولاكو بالتخلي عن غزو بغداد، ولكن اصرار المغول في المضي قدما في مخططهم الاستعماري حال

(1) المستعصم بالله: عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر بالله(1212-1258م).الخليفة العباسي الرابع والثلاثين وآخرهم. انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي/ص434)

(2) جامع التواريخ، الهمذاني، (م2/ج1/ص268)

(3) شرف الدين عبد الله بن ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ.. من كبار علماء القرن السابع الهجري، استشهد سنة656. انظر: الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(ص328)

دون نجاح رسل الخليفة في مهمتم؛ فرجعوا إلى بغداد يحملون رسالة من هولاكو تُخبر الخليفة بأنه قادم الى بغداد بجيش عظيم لا يحصى عدده[1] .

اختلفت اراء كبار أمراء بغداد وقادتها في الاجراءات التي يجب أن يتخذها الخليفة تُجاه تعنت هولاكو واصراره على غزو العراق، فكان منهم من نصح الخليفة بارسال هدايا باهضة الثمن لكسب ود وعطف هولاكو، ومنهم من نصحه بإرسال هدية متواضعه مع تحذير من خطر المس بالعائلة العباسية، وفي ظل هذه الاراء المضطربه، دعا الشيخ ابن الجوزي الخليفة وكبار الشخصيات العراقية والعامة في بغداد إلى ضرورة الاستعداد العسكري للقاء المغول، وبيّن لهم أن هولاكو قد عزم على غزو العراق وأنّ لا مجال لصده إلا بالجهاد في سبيل الله والوطن، إلا أنّ الخليفة لم يصغِ لنداءات الشيخ ابن الجوزي؛ فاستهان بأمر التجهيزات العسكرية، ومضى في لهوه وملذاته؛ فكانت النتيجة سقوط الخلافة العباسية على يد المغول، وقتل الخليفة واستباحه بغداد[2].

إن دراسة متأنية في سِيَر علماء بغداد ومثقفيها تؤكّد على أنّ جهودهم لم تقتصر على المشاركة في السفارات، والتحذير من الخطر المغولي، بل كان لهم دورٌ فاعل في مقاومة الغزو المغوليّ، وهذا الدور اتّخذ عدّة أوجه كان من أبرزها حثّهم الناس على الجهاد، ومشاركتهم الفعليّة مع المقاومة الشَّعبيّة البغداديّة في المعارك التي دارت بينها وبين المغول؛ ممّا تسبّب في أسر واستشهاد عدد كبير منهم. ويُترجم ابن الفوطيّ لعدد من العلماء الذين تصدّوا بأنفسهم لهجمات المغول حتى نالوا شرف الشّهادة، وعلى رأسهم الفقيه الواعظ يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزيّ(580-656ه) الشهير بمُحي الدين، الذي

(1) جامع التواريخ، الهمذاني، (م2/ج1/ص267-276)
(2) المصدر نفسه(م2/ج1/ص274)

استشهد بسيف المغول عند دخول هولاكو إلى بغداد مع ثلاثة من أبنائه وهم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف، وشرف الدين عبد الله، وتاج الدين عبد الكريم، وكانوا جميعًا علماءَ أفاضل، لهم مكانة مرموقة بين علماء بغداد[1]. وغيرهم الكثير من الشهداء، ممّن ترك استشهادُهم في ساحة المعركة الأثرَ الأكبر في نفوس أهل بغداد الذين كادت أنْ تنهار روحهم المعنويّة والجهاديّة؛ بسبب قَسْوة الغزو المغوليّ عليهم.

وحتى تتضح الصّورة الحقيقيّة لِحَجم هذا الدور، أحصت الدّراسة- مُعتمدة على كتابيّ: (تلخيص مجمع الآداب) و(الحوادث الجامعة)- أعدادَ مَنْ قُتل وأُسر مِن علماء بغداد ومثقفيها في أثناء الغزو؛ كما هي في الجدول التالي، في محاولة منها لاعتماد المنهج الكميّ في تقديم معلومة موثّقة بإحصائيّة رقميّة.

جدول رقم (1): أسماء من قتل أو أسر من العلماء والمقفين في أثناء الغزو المغولي على بغداد

الرقم	اسم العالم
.1	عزّ الدين أبو الفضل عبد العزيز بن محمد بن أبي الفتح البغداديّ الناسخ.
.2	عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن البديع البغداديّ الفقيه المجلد.
.3	عفيف الدين أبو العز يوسف بن عبد الكريم بن الحسن البغداديّ الفقيه.
.4	عماد الدين أبو الفوارس طغرل بن عبد الله المستعصميّ.
.5	عماد الدين أبو الحسن علي بن عبد الملك البندنيجي الكاتب الفقيه.

(1) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي، (ص328)

.6	فخر الدين أبو جعفر أحمد بن عبيد الله الآمديّ الصوفيّ.
.7	فخر الدين أبو علي محمد بن عبد الرحمن العكبريّ الكاتب.
.8	قطب الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن بوازيه البغداديّ الكاتب.
.9	كمال الدين أبو القاسم عبيد الله بن أبي طالب بن الساعاتيّ البغداديّ المقرئ.
.10	كمال الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الحموي ثمّ البغداديّ.
.11	محي الدين أبو محمد يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ البكري البغداديّ
.12	محي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحيى بن هبة الله ابن المحيا العباسيّ.
.13	معين الدين أبو محمد ربيع بن عبد الواحد بن عبد الوهاب البغداديّ الصوفيّ.
.14	معين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن البغداديّ الصوفيّ.
.15	موفق الدين أبو محمد عبد القاهر بن محمد بن الفوطيّ البغداديّ الكاتب.
.16	جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ.
.17	شرف الدين عبد الله بن ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ.
.18	تاج الدين عبد الكريم بن أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ.
.19	بهاء الدين داوود بن المختار.
.20	النقيب الطاهر شمس الدين علي بن المختار.
.21	شرف الدين محمد بن طاووس
.22	تقي الدين عبد الرحمن بن الطبّال.
.23	ابن برجم شهاب الدين سليمان بن محمد.
.24	قوام الدين أبو العز عبد الرحمن بن صدر الدين علي بن محمد بن النيار.

.25	عز الدين أبو المعالي محمد بن عبدين بن علي السلميّ.
.26	قوام الدين أبو النصر يونس بن منصور بن إبراهيم.
.27	شمس الدين علي بن النقيب الطاهر الحسن العلويّ.
.28	علاء الدين أبو سعد بن سكينة محمد بن عبد الله البغداديّ.
.29	فخر الدين صالح بن أحمد الدقوقيّ.
.30	كمال الدين أبو الفضائل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني بن الفوطيّ.
.31	عماد الدين أبو الفضل خالد بن كمال الدين محمد بن أبي الفضل البغداديّ.
.32	عزّ الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق بن البزوريّ البغداديّ.
.33	جلال الدين عبد الجبار بن عكبر البغداديّ العكبريّ الحنبليّ (ت681ه/ 1281م).
.34	كرز الدين اسحاق بن جبرائيل الديلمي(ت680ه)

يُلاحظ من الجدول أعلاه أنَّ مشاركةَ العلماء لأهالي بغداد وجيشها في مقاومتهم العسكريّة للغزو المغوليّ تحمل في طياتها مجموعة من الدلالات المهمّة، منها أنَّ ابن الفوطيّ ترجم في كتابيه ل(34) عالمًا شهيدًا وأسيرًا، وهذا العدد وإنّ كان لا يشمل جميع العلماء الذين استشهدوا أو أسروا في بغداد، فهناك أسماء لشهداءَ كثر لم يترجم لهم ابن الفوطي في حين ترجمت لهم مصادر أخرى، إلا أنّه يُعدُّ دليلًا على أنَّ علماءَ بغداد ومثقفيها لم يكونوا بمعزل عن مجتمعهم، بل شاركوا أهل مدينتهم في مواجهتهم للغزو المغولي ؛ ممّا أدّى إلى تعرضهم للاستشهاد والأسر_ كما هو حال الأهالي_.

إن عدد الشهداء والأسرى_ سابق الذكر_ لا يتوافق مع ما أوردته المصادر التاريخية، التي تكاد تجمع على أن كارثة سقوط مدينة بغداد أهلكت من رجال العلم عددًا كبيرًا يُقدَّر بالآلاف، ومن أهم تلك المصادر كتاب (جامع التواريخ) والذي يُعدُّ من أهمِّ مصادر تاريخ المغول- وفيه يؤكد الهمذاني

على أن المغول قتلوا ثلاثة آلاف من العلماء والقضاة والأعيان ممّن اصطحبهم الخليفة العباسيّ المستعصم بالله معه حين خرج لمقابله هولاكو، وفي روايّة أخرى يذكر أنَّ هولاكو عندما دخل بغداد أمر جنده بإخراج كلِّ مَن حمل السلاح مِن أهلها إلى خارج سور المدينة، ثمّ قتلهم جميعًا، وكان منهم علماء وقضاة ومشايخ [1]، كما دوَّن ابن بطّوطة نصًّا أشار إلى عدد العلماء الذين استشهدوا على يد المغول بالعراق، قال فيه: إنَّ الشيخ نور الدين بن الزّجاج- وهو من علماء العراق- ذكر أنَّ المغول قتلوا في هجومهم على العراق أربعة وعشرين ألفَ رجلٍ من أهل العلم[2]، ويذهب السخاويّ إلى أبعد من ذلك، في قوله: « ولم يبق فيها- يقصد بغداد- مَن يعرف شيئا من العلم»[3]، ويتفق ابن كثير[4] مع ما جاء عند ابن تغري بردي بأن اعداد من استشهد من أهل بغداد يقارب ثمانمائة الف جلهم من العلماء ورجال الفك[5]. إن التباين الواسع بين ما جاء في تراجم ابن الفوطي مع غيره من المصادر؛ يُظهر إنَّ خسارة بغداد لعلمائها بسبب الغزو المغوليّ لم تكن بالجسامة التي صوَّرتها المصادرُ التاريخيّة، وهذا النتيجة تدعم ما توصل اليه الباحثان جعفر خصباك[6] ومفيد آل ياسين[7] حيث أكدا على أنّ المبالغة واضحة في الأرقام التي دونتها المصادر عن خسارة بغداد لعلمائها، بدليل أنّ تلك المصادر نفسها زودتنا

(1) جامع التواريخ، الهمذاني، (م2/ج1/ص267-276)
(2) رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة،(ج2/ص818-819)
(3) الاعلان بالتوبيخ، السخاوي،(ج2،ص295)
(4) البداية والنهاية، ابن كثير،(ج13،ص203)
(5) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي،(ج7،ص50)
(6) العراق في عهد المغول الايلخانين، خصباك،(ص53)
(7) الحياة الفكرية، آل ياسين،(ص113)

بأسماء رجال علم كانوا ببغداد في العصر العباسي الأخير وعاصروا الغزو المغولي، وتمكنوا من المساهمة في عودة النشاط العلمي إلى المدينة بعد فترة قصيرة من انتهاء استباحتها.

ثانياً: الدور التعليميّ والثقافيّ لعلماء بغداد ومثقفيها في المحافظة على الثقافة العربيّة إبّان الغزو المغوليّ على بغداد.

كان لعلماء بغدادَ ومثقفيها إبّان الحكم المغوليّ على بغداد، مجهودٌ ثقافيٌّ متميّز في المحافظة على أصالة بغداد، وشخصيّتها التاريخيّة وانتماءاتها الثقافيّة والدينيّة. وذلك بتمكّنهم من إحداث تغييرٍ ملموسٍ في سير الحركة التعليميّة والثقافيّة التي تعثرت نتيجةً للفوضى التي رافقت الاحتلال المغوليّ؛ إذ تؤكد مصادر الدراسة على دور علماء بغداد ومثقفيها في استئناف النشاط التعليميٍّ في المؤسسات التعليميّة المختلفة ولا سيَّما المدارس. والجداول التاليّة تبين المدارس التي أعاد إليها العلماء نشاطها التعليميّ. وأسماء العلماء الذين درسوا فيها خلال الحكم المغوليّ.

جدول رقم (2) المدارس التي أعاد علماء بغداد نشاطها التعليميٍّ بعد سنة 656هـ/ 1258م

الرقم	المدرسة	العلماء الذين درسوا فيها
	المدرسة المستنصريّة	-كمال الدين أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الأبريّ البغداديّ (ت667ـ/ 1268م). -جلال الدين عبد الجبار البغداديّ العكبريّ الحنبليّ (ت681ه/ 1281). -الفقيه نور الدين أبو طالب عبد الرحمن ابن عمر البصريّ الحنبليّ (ت684ه/ 1285م). -الفقيه شرف الدين أبو أحمد داود بن عبد الله الحنبليّ (ت690ه

		/ 1291). -الفقيه جمال الدين عبد الله بن محمد العاقوليّ ثمّ البغداديّ (ت728ه / 1327م). -سراج الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحيّ (ت669ه/ 1270م). -عماد الدين أبو جعفر ذو الفقار العلويّ الشافعيّ (ت685ه/ 1286م). -جمال الدين الحسين بن بدر بن باز (ت 681ه / 1282م). -عماد الدين أبو عمارة حمزة البزربيّ -عزّ الدين أبو الفضل الحسن بن عمر الرسعيّ. -عزّ الدين الحسن بن يوسف ابن العجميّ. -فخر الدين إبراهيم بن محمد السفيها مرقنديّ (كان حيًّا سنة 718ه / 1318م). -فخر الدين عبد الرحيم بن أحمد البغداديّ الحنفيّ (كان حيًّا سنة 712ه/ 1312م). -عزّ الدين أبو محمد الحسن بن القاسم النيلي(ت712ه/ 1312م). -علم الدين أحمد بن عبد الرحمن الشارمساحيّ (ت673ه/ 1274م). -عفيف الدين إبراهيم بن محمد الزركشيّ (ت 676ه/ 1277م). -عماد الدين محمد بن الأشرف المرنديّ (ت680ه/ 1281م). -شمس الدين المبارك بن الصبّاغ (683ه / 1284م).

		-ظهير الدين محمد بن عمر النوجاباذيّ (ت683ه/ 1284م). -مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب ابن الساعاتيّ (ت694ه / 1294م). -شرف الدين المعالي معد بن نصر ابن الصقيل الجزري (ت701ه / 1301م). -فخر الإسلام محمد بن محمد بن عمر النوجاباذيّ (ت677ه / 1278م). -عفيف الدين أبو محمد إدريس بن بكلك التركي البغداديّ (ت710ه / 1310م). -علاء الدين علي بن يعقوب الكنكريّ الحنفيّ (بعد 708ه). -الفقيه محمد بن أبي الفضل الحنفيّ (معاصر لابن الفوطيّ). -عزّ الدين أبو أحمد عبيد الله بن محمد الأصفهانيّ (ت661ه/ 1262). -عفيف الدين محمد بن عبد المحسن (728ه/ 1327م). -عماد الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم البصريّ (ت بعد 687ه). -الشيخ مجد الدين عبد المجيد ربيب الصناع(715ه/ 1315م). -الطبيب علاء الدين علي بن محمد الأربليّ. -قطب الدين محمد بن عمر بن الفضل التبريزيّ (ت736هـ). -فخر الدين أبو محمد الحسن بن محمد الطيسيّ (ت بعد 701ه). -عزّ الدين أبو العز محمد بن عبد الله البصريّ (ت672ه).

		-عماد الدين أبو العباس محمد بن علي البانيّ البغداديّ(ت720ه). -عزّ الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن الزرندي (كان حيًّا 701ه). -محي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحي بن المحيا العباسيّ البغداديّ(703ه). -أبو محمد محمد بن مسعود البغداديّ (ت 717ه). -صفيّ الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرمويّ (ت693ه). -شمس الدين الأصفهانيّ. -شرف الدين أبو أحمد بن عبد الله بن كوشيار الحنبليّ. -نصير الدين عبد الله بن عمر الفاروثيّ (ت706ه/ 1306م).
	المدرسة النظاميّة	-عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصريّ (ت672ه/ 1273م). -شمس الدين محمد بن الكيش (ت695ه / 1295م). -نصير الدين عبد الله بن عمر الفاروثيّ (ت706ه/ 1306م). -عماد الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن تاج الدين الموصليّ. -مجد الدين علي بن جعفر الشافعيّ. -الفقيه نور الدين ابن التيان عبد الغني الحلبي الشافعيّ(ت687ه/ 1288م). -نجم الدين بن أبي العز الشافعيّ. -النحويّ علاء الدين أبو الحارث أرسلان ابن داود الإتراري الشافعيّ. -عماد الدين أبو القاسم علي بن محمد الخراسانيّ الشافعيّ.

		-عفيف الدين أبو المظفر منصور بن عقبة الشيبانيّ (ت658ه). -عزّ الدّين أبو العزّ محمد بن محمد بن عبد الله البصريّ (ت بعد سنة 689ه). -عفيف الدين أبو محمود إدريس بن محمد ابن عثمان الشوشي(682ه. -جمال الدين ياقوت المستعصمي
	المدرسة البشيرية	-سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسيّ (ت670ه/ 1271م). -علاء الدين علي بن الأطلسيّ الحنفيّ (ت667ه/ 1287م). -فخر الدين أبو بكر عبد الله بن عبد الجليل الطهرانيّ (667ه/ 1287م). -جمال الدين عبد الله بن محمد الأسطي العاقوليّ (ت728ه/ 1327م). -صدر الدين محمود بن محمد الهرويّ. -مجد الدين علي بن جعفر الشافعيّ. -علم الدين إسماعيل بن علي بن الأقساسيّ (كان حيًّا سنة 670ه/ 1271م). -برهان الدين محمد بن محمد البخاري (كان حيًّا سنة 760ه/ 1360). -عماد الدين أبو عبد الملك عبد الرحمن بن عبد المنعم -شمس الدين الأصفهانيّ.

		-نور الدين علي بن الأطليّ (ت 676ه / 1277م). -تاج الدين عبد الرحيم بن يونس المَوصليّ. -علم الدين أبو العباس أحمد بن عمر الشرمساحيّ.
	المدرسة المجاهديّة	-كمال الدين علي بن محمد الشهرابانيّ البغداديّ (ت672ه / 1273.
	المدرسة التتشية	-الأديب شمس الدين محمود بن أحمد الهاشميّ (ت675ه 1276م). -عزّ الدين الحسن بن محمد البغداديّ.
	المدرسة الثقتية	-مجد الدين عبد الله بن علي الهمذانيّ(ت681ه/ 1282م). -سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الحسينيّ الواسطيّ.
	مدرسة دار الذهب	-نظام الدين عبد المنعم بن البنديجيّ (ت667ه/ 1268م).
	مدرسة السعادة	-بدر الدين علي بن محمد الرقيّ.
	المدرسة المغيثية	-أبو الفضل محمد بن محمد بن عمر النوجاباذيّ. -محي الدين محمد بن المحيا العباسي (ت703هـ/ 1303م).
	مدرسة جامع السلطان	-عز الدين الحسين إبراهيم منصور الكوفيّ الحنفيّ.
	مدرسة الأصحاب	-عزّ الدين أبو العز محمد بن جعفر البصريّ (ت672ه/ 1273م). -جمال الدين عبد الله بن العاقول (ت728ه / 1328م). -نجم الدين محمد بن العزّ البصريّ.

	مدرسة مشهد أبي حنيفة	-الفقيه مجد الدين عبد الله بن بلدجيّ الحنفيّ(ت683هـ/ 1286م).
	المدرسة الشرابية	-عماد الدين زكريا القزويني(ت682ه) صاحب كتاب(آثار البلاد وأخبار العباد)

جدول رقم (3) المدارس التي استُحدثت في بغداد إبّان العهد المغوليّ

الرقم	المدرسة	علمائها
1	**المدرسة الغزانيّة (السلطانية)**	-عماد الدين علي بن الحسين بن علي الواسطيّ. - عزّ الدين الحسن بن محمد بن الحسن الجرباذقانيّ -عماد الدين أبو علي عبد الله بن محمد الحربويّ.
2	**المدرسة العصمتية**	-عزّ الدين أبو العز محمد بن جعفر البصريّ (ت672ه/ 1273م). -عفيف الدين ربيع بن المحدث عمحمد الكوفيّ (ت بعد 688ه / 1289م). -شرف الدين داود بن عبد الله بن كوشيار الجيليّ. -مجد الدين محمد المعروف بشقير.
3	**مدرسة ابن قاضي دوقا**	لم تذكر مصادر الدراسة مدرسيها، واكتفوا بالإشارة إلى تأسيسها بجهود بهاء الدين عبد الوهاب بن قاضي دوقا سنة664ه/ 1265م.
4	**مدرسة مجد الدين بن**	لم تذكر مصادر الدراسة مدرسيها واكتفى صاحب الحوادث

	الأثير	الجامعة بالإشارة إليها في حديثه عن مؤسسها مجد الدين إسماعيل بن إلياس بن الأثير.
5	**المدرسة العلائية الشاطئية**	لم تذكر مصادر الدراسة مدرسيها، واكتفوا بالإشارة إلى تأسيسها بجهود علي بن عبد المؤمن بن كردمير التركستانيّ سنة693ه/ 1293 غربي بغداد.
6	**المدرسة الافتخاريّة**	لم تذكر مصادر الدراسة مدرسيها واكتفوا بالإشارة إلى أنها تنسب إلى الملك إمام الدين يحيى البكري القزوينيّ صاحب ديوان بغداد سنة 700ه.

يلاحظ من الجدول أعلاه أنّ مصادر الدراسة أرّخت ل(94) عالمًا درّسوا في (19) مدرسة في بغداد إبّان الحكم المغوليّ. ومن المؤكد أنّ هذا العدد لا يشمل جميع العلماء، فهناك العديد من المُدرسين الذين ترجمت لهم المصادر التاريخيّة، ولم يرد لهم ذكر في كتابي ابن الفوطيّ؛ نذكر منهم _على سبيل المثال لا الحصر_ الشيخ برهان الدين محمد، شيخ الفلسفة في بغداد المتوفى سنة 687ه[1]، والشيخ نور الدين عبدالرحمن بن عمر الجعبري(ت723هـ) مدرس الطب في المدرسة النظامية[2]...وغيرهم . وفي احصائية جمع فيها الباحث ناجي معروف أعداد العلماء الذين درسوا في المدرسة المستنصرية إبان الحكم الايلخاني، وصل عدد المدرسين في تلك المدرسة نحو مئتين وخمسين مدرساً؛(لح) مما يؤكد على

(1) تاريخ دول الاسلام، الذهبي،(ج2/ص143)
(2) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني،(ج2/447)
(3) علماء المستنصرية، معروف،(ج1، 455)

أنّ عدد العلماء الذين أحيوا التدريس في مدارس بغداد إبّان الحكم المغوليّ كان أكثر بكثير من العدد الوارد في مصادر هذه الدراسة .

تمكن علماء بغداد من إحياء النشاط التعليمي في (19) مدرسة، منها (13) مدرسة كانت قائمة منذ العهد العباسي، و(6) مدارس جديدة تم استحداثها خلال الحكم الايلخاني، وبمقارنة عدد تلك المدارس مع عدد المدارس التي كانت تحفل بها بغداد قبل الغزو المغولي، والتي يقدرها الباحث عماد عبدالسلام رؤوف ب(38) مدرسة[1] ، نجد أن جهود العلماء أثمرت بتشغيل قرابة ثلث مدارس بغداد القديمة وعلى رأسها: المدرسة المُستنْصريّة التي تمكّن علماء بغداد من استئناف الدراسة فيها بعد عام واحد من انقطاعها، فقد ذكر ابن الفوطيّ أنه في سنة 657ه/ 1258م، درّس الفقيه عماد الدين أبو جعفر ذو الفقار العلويّ الشافعيّ(ت685ه/ 1286م) في المستنصريّة للطائفة الشافعيّة[2] ، ورتّب عفيف الدين إبراهيم بن محمد الزركشيّ(ت676ه/ 1277م) مُقرئًا للحديث النبويّ بدار السنّة التابعة لها[3] ودرّس عماد الدين محمد بن الأشرف المرنديّ (ت680ه/ 1281م) الفقه الشافعيّ[4]. أمّا المدرسة النظاميّة، فيظهر من ترجمة عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصريّ (ت672ه/ 1273م) أنه درس فيها سنة 658هـ/ 1259م[5] مما يعني أنه قد أُعيد التدريس فيها بعد عامين من انقطاعها، وتبعها باقي المدارس، فقد أعيد التدريس في المدرسة المغيثيّة والثقتيّة ومدرسة الأصحاب، والإمام أبي حنيفة،

(1) مدارس بغداد، رؤوف،(ص،16)
(2) تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي،(ج4/ق1/ ص562)
(3) المصدر نفسه،(ج4/ق1/ ص430)
(4) تالمصدر نفسه،(ج4/ق2/ ص384)
(5) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(ص309)

وسعادة...وغيرها من المدراس المثبته في الجداول (2) . كما أعاد العلماء التدريس في المرافق التعليمية التابعة للمدرسة المستنصرية مثل: دار القرآن، ومدرسة الحديث، ومدرسة الطب، ومشيخة الأدب العربي، ومشيخة العلوم.

لم يكتفِ علماء بغداد بإعادة إحياء المدارس القديمية، بل تؤكد تراجمهم على أنهم تمكنوا من تشجيع حكّام العراق على إنشاء مدارس جديدة وصبغها بالصبغة العربيّة الإسلاميّة، وكان من أولئك الحكام الصاحب علاء الدين عطاملك الجويني الذي حكم في الفترة (657-681ه)، وتميز باتساق شخصيته الدينية والثقافية مع ما كان علية المجتمع العراقي، فقد كان مؤرخاً من بلاد فارس(ايران)، مسلماً، مهتماً بتطبيق تعاليم الشريعة الاسلامية، وبالثقافة العربية وعلومها لجانب ثقافته الفارسية[1].

بلغ مجموع المدارس التي أستحدثت في بغداد حوالي (6) مدارس كان من أهمِّها: المدرسة العصمتيّة التي أمرت بإنشائها شمس الدين الشاهلني بنت عبد الخالق بن ملكشاه زوجة الصاحب عطاملك الجويني، مجاور مشهد عبيد الله، وقد تكاملت عمارتها سنة671ه/ 1272م، وتمّ وقفها على الطوائف الأربعة[2] ومدرسة ابن دوقا التي بناها بهاء الدين عبد الوهاب بن قاضي دوقا سنة 664ه/ 1265م [3]، والمدرسة الغزانيّة التي أنشأها المخدوم رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير في سنة عشرة وسبعمئة [4]

ويظهر من تتبُّعِ أخبار المدرسين أنهم لم يكتفوا بإعادة إحياء التدريس في مدارس بغداد فحسب، بل عنوا بتدريس جميع الآداب والعلوم التي كانت تدرس فيها منذ العصر العباسيّ ولا سيما العلوم

(1) "عطاملك الجويني ودوره السياسي والثقافي"، العيدي، (ص23)
(2) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(ص377)
(3) المصدر نفسه،(ص461)
(4) تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي،(ج4/ق1/ ص146)

الشرعية التي حافظوا على تدريسها بناءً على المذاهب الأربعة، و يؤكد هذا تعيين مدرسين على المذهب المالكي و الشافعي و الحنفي والحنبلي. كما يظهر -أيضا- حرص العلماء على المحافظة على المستوى العلميّ التي كانت تتميّز به مدارس بغداد قبل الاحتلال المغوليّ، وهذا يتّضح من التحاق عدد من كبار العلماء للتدريس فيها. نذكر منهم- على سبيل المثال- مظفّر الدين أحمد بن علي بن تغلب بن الساعاتيّ(ت694ه/ 1294م)[1]، العالم المتقن الذي وصفه اليافعيّ بقوله: «وبلغ رُتبة الكمال، وصار إمام العصر في العلوم الشرعية، ثقة حافظًا متقنًا في الفروع... فارس في ميدانه»[2]والعالم أبو بكر الفاروثيّ (ت706ه) الذي وصفه الصفديّ بقوله: «الشيخ الإمام، العالم، العلامة، سيف النظر، نصير الدين، أبو بكر الشافعيّ، مدرس المستنصريّة ببغداد، كان من كبار المذهب، ورافعي لوائه» [3]. وغيرهم الكثير كما هو واضح في الجدول أعلاه.

تمخّض عن جهود علماء بغداد ومثقفيها في تنشيط الحياة العلميّة في مدارس بغداد، مناخًا ثقافيًا يمكن تلمّسه في مجموعة من الظواهر الثقافيّة، من أهما: إشغال الوظائف الدينيّة والتعليميّة للمساجد والزوايا والأربطة؛ فيذكر ابن الفوطي في ترجمته للشيخ مجد الدين عبدالصمد المقريء أنه كان يُعلّم الأيتام في مسجد قمرية[4]، وكان الشيخ عفيف الدين أبو البدر محمد بن عبدالرحمن الاربلي الصبيان في مسجد الإمام الناصر لدين الله[5] وعلّم الشيخ فخر الدين أبو الربيع سليمان السلمي أولاد الأكابر

(1) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(444)
(2) مرآة الجنان، اليافعي،(ص356)
(3) الوافي بالوفيات، الصفدي،(ج2/ص439)
(4) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(396)
(5)تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي،(ج4/ق3/ ص325)

الخط في الرباط المستجد[1]، كما نشطت الحركة التعليمية في رباط سعادة والحريم والمأمونية، ونشطت المجالس العلميّة التي كانت تُعقد في رواق المدارس والأربطة، ومنها: المجالس العلميّة العشرة التي عقدها أبو الفتح بن الصقيل الجزريّ في رواق المستنصريّة، وفي رباط القصر المجاور لها، وقد استمرت تلك المجالس شهرين ويومين من سنة 676ه/ 1277م، وكان الهدف منها سماع (المقامات الزينيّة) التي ألفها أبو الفتح المعروف بابن الصقيل الجزريّ، وتتألف هذه المقامات من خمسين مقامة، وقد حضر هذه المجالس علماء كثر من جميع مدن العراق، إضافة إلى علماء من بلدان أخرى[2]. أحصاهم الباحث ناجي معروف بمئة وستين عالمًا[3]. إنّ حدوث تظاهرة ثقافيّة أدبيّة، على هذا القدر من الاتساع لهو دليل يعكس مدى فاعليّة النشاط الأدبيّ الذي تبنّاه علماء بغداد ومثقفوها إبّان الحكم الإيلخانيّ على العراق.

نستخلص ممّا سبق أنّ علماء بغداد ومثقفيها استطاعوا من خلال إعاده إحياء العمليّة التعليميّة والثقافيّة في مدارس بغداد المحافظةَ على الهُويّة الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة. فقد استمرت اللغة العربيّة لغة الثقافة والبحث والدراسة والتأليف والإدارة أيضًا. كما أنّ استمرار تدريس العلوم الإسلاميّة واللغة العربيّة وآدابها والتاريخ الإسلامي عكس اهتمامًا واضحا بمكونات هُويّة أمتنا: لغةً وديناً وتاريخًا، في وقت كانت تخضع فيه للسيطرة الأجنبيّة الوثنيّة.

□

(1) تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي،(ج4/ق1/ ص520-521)
(2) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي،(ص346-349)
(3) علماء المستنصرية، معروف،(ج1،ص455)

الخاتمة: النتائج والتوصيات

خرج البحث بالنتائج الآتية:

1. المغول قبائل شبه بدائيّة، سكنت في أواخر القرن السادس الهجريّ / الثاني عشر الميلاديّ، في هضبة منغوليا، عاشت حياة غير مستقرة، كلّها نزاع وصراع جريًا وراء الماء والكلأ، لا حكم بينهم إلا للسيف، وهم بذلك لا يدركون معنًى للحضارة، ولا يفقهون معنًى للمدنيّة ولا للاستقرار.

2. أسس جنكيزخان دولة المغول سنة 600هـ/ 1206م، في منغوليا، بعد أن وحّد قبائلها، ونظّم شؤونها الداخليّة بقوانين الياسا، ومنها انطلق للسيطرة على الدول المجاورة لها، فبدأ بغزو الإمبراطوريّة الصينيّة، بعدها اتّجه نحو الغرب ليبدأ بتحقيق مشروعه التوسعيّ في بلاد ما وراء النهر، مستغلًا حالة الضعف والتخاذل التي كانت تسود الدولة الخوارزميّة ومن ورائها الدولة العباسيّة. وقد تمكن جنكيزخان وأبناؤه من بعده من مد نفوذهم غربًا وصولًا إلى بلاد الشام.

3. كان احتلال المغول للعراق، وسقوط بغداد، والخلافة العباسيّة التي استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون، ومقتل الخليفة المستعصم بالله سنة 656هـ/ 1258م، من أكبر الوقائع التي شهدها القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلاديّ، وأكثرها قساوة وبلاءً.

4. هناك حقيقة لا بدّ من إظهارها، وهي أنّه على الرُّغم من ضعف الأمة وتقهقُرِها العسكريّ أمام الغزو المغوليّ، إلا أنّها تمكّنت من المحافظة على هُويتها الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة. وتعدّ جهود العلماء والمثقفين إبّان الغزو المغوليّ من أهم العوامل التي ساهمت في المحافظة على هُويتنا، واستمرار امتدادها، رُغم ظروف الاستعمار المغوليّ القاسيّة التي تعرضت لها.

5. يستخلص من دراسة قيادة العلماء والمثقفين للبعثات الدبلوماسيّة والحركات الجهاديّة إبّان الغزو المغولي أنّه كان لهذه النخبة المُميّزة دورٌ سياسيّ وعسكريّ فاعل في مقاومة الغزو ، يُعدُّ دليلًا

على أنَّ علماءَ بغداد ومثقفيها لم يكونوا بمعزل عن مجتمعهم، بل شاركوا أهل مدينتهم في مواجهتهم للغزو المغولي ؛ ممّا أدّى إلى تعرضهم للاستشهاد والأسر_ كما هو حال الأهالي_.

6. بعد سيطرة المغول على بغداد خربت المدارس، وتعطّل العمل فيها. ولكن بجهود علماء بغداد ومثقّفيها تمّ إحياء العمليّة التعليميّة في (19) مدرسة كان على رأسها: المدرسة المستنصريّة والمدرسةُ النظاميّة اللتان كانتا من أهم مدارس العالم الإسلاميّ آنذاك. إضافةً للمدرسة المجاهديّة، ومدرسة دار الذهب وغيرها من المدارس.

7. كان لعلماء بغدادَ ومثقفيها الفضل في تشجيع حكام العراق في العهد المغوليّ على إنشاء مدارس جديدة وصبغها بالصبغة العربيّة الإسلاميّة، وكان من أهم تلك المدارس: المدرسة الغزانيّة، والمدرسة العصمتيّة، ومدرسة ابن دوقا التي بناها بهاء الدين عبد الوهاب بن قاضي دوقا سنة 664ه/ 1265م

8. نستخلص من دراسة الدور العلميّ والثقافيّ لعلماء بغداد ومثقفيها أنهم استطاعوا المحافظة على الهُويّة الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة؛ فقد استمرت اللغة العربيّة، لغة الثّقافة والبحث والدراسة والتأليف والإدارة والحكم. و استمرار تدريس العلوم الإسلاميّة واللغة العربيّة وآدابها والتاريخ الإسلاميّ مما عكس اهتمامًا واضحًا بمكوّنات هُويّة أمتنا: لغةً وديناً وتاريخًا، في وقت كانت تخضع فيه للسيطرة الأجنبيّة الوثنيّة.

توصي الدراسة بما يلي:

العلماء هم ورثة الأنبياء في الإصلاح والتغيير، وهم المنارة التي تضيء للأجيال الطريق لتجاوز حال الوهن والتردّي التي آلت إليه أمتنا. لذلك توصي هذه الدراسة علماء أمتنا بضرورة القيام بواجبهم ومسؤولياتهم أمام الله تعالى في تبصير الناس لطريق الحق والصواب؛ لانتشال الأمة من مستنقع المِحن والنكبات التي تعيشها في هذا الزمن.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الفوطي مؤرخا، عيال سلمان حمود، 2014، وزارة الثقافة، عمان.
2. ابن الفوطي، جواد مصطفى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م9، ص43-164، 1961.
3. البداية والنهاية، ابن كثير ابو الفداء اسماعيل، تحقيق مكتب تحقيق التراث، 1992،دار احياء التراث، بيروت.
4. تاريخ الخلفاء، السيوطي جلال الدين ، اعتنى به محمود رياض الحلبي، 2004، دار المعرفة، بيروت.
5. تاريخ دول الإسلام، الذهبي محمد بن احمد، تحقيق عمر عبدالسلام 1992، دار الكتاب العربي، بيروت.
6. تاريخ علماء المستنصرية، ناجي معروف، د.ت، مطبوعات دار الشعب، القاهرة.
7. تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غريغوريوس الملطي، 1958،المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
8. تذكرة الحفاظ، الذهبي محمد بن احمد، د.ت، دار الكتب العلمية،بيروت.
9. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن الفوطي كمال الدين عبدالرزاق الشيباني، تحقيق مصطفى جواد، 1962، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق.
10. جامع التواريخ، الهمذاني رشيد الدين، ترجمة صادق نشأت ، د.ت، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة.
11. جهانكشاي، عطاملك الجويني، ترجمة محمد التونجي، 1985، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق.
12. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ابن الفوطي كمال الدين عبدالرزاق الشيباني، طبع بعناية مصطفى جواد، 1351هـ، مطبعة الفرات، بغداد.
13. الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، آل ياسين محمد ،1979،الدار العربية للطباعة ، بغداد
14. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، 1967، مطبعة المدني، القاهرة.
15. الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب عبدالرحمن البغدادي، صححه محمد الفقي، 1953، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
16. رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة محمد اللواتي، 1960،دار صادر،بيروت
17. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.
18. العراق في العهد المغولي الايلخانيين(656-736)جعفر خصباك، ط1، 1968، مطبعة العاني، القاهرة.
19. «عطاملك الجويني ودورة السياسي والثقافي(623-681ه)»، العيدي اخلاص محمد، رسالة ماجستير بإشراف احمد الحسو، جامعة مؤتة ، الاردن، 2004.

20. الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقى محمد بن علي بن طباطبا، تنقيح محمد عوض بك ابراهيم، 1923، مطبعة المعارف، مصر.
21. فوات الوفيات، الكتبي محمد بن شاكر، تحقيق محمد محي الدين ، 1951، مطبعة السعادة، مصر.
22. مدارس بغداد في العصر العباسي، رؤوف عماد عبدالسلام ، 1966، مطبعة دار البصري، بغداد.
23. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي عبدالله بن أسعد، 1970، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
24. معجم البلدان، الحموي ياقوت بن عبدالله، تحقيق فريد الجندي، 1990،دار الكتب العلمية، بيروت.
25. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي يوسف، 1938،دار الكتب المصرية،القاهرة.
26. «نصير الدين الفوطي» ظاهر سليمان، مجمع اللغة العربية، م36، ص127-241، دمشق، 1961.
27. الوافي بالوفيات، الصفدي خليل بن ايبك، باعتناء هلموت ريتر، 1992، فرانزشتايز، شتوتغارت.